العالم سيتفهم تأجيل الانتخابات شبه المؤكد خشية فوز حركة حماس

الفلتان الأمني في المناطق ليس صدفة وانما ذريعة مفتعلة من فتح للتغطية على ازمتها الداخلية

■ للوهلة الاولى نحن الآن أمام مؤامرة مفترضة ـ واحدة من مؤامرات كثيرة ـ شائعة في الشارع الفلسطيني، والقضية في هذه المرة تتعلق بتدهور الأوضاع الأمنية الداخلية في المناطق.

الفلتان الأمني في المناطق وخاصة في غزة، وصل في الايام الأخيرة الى ذروات لم يكن قد بلغها في السابق: اختطاف الاجانب على يد العصابات المسلحة وشبه التمرد الذي قام به الشرطيون الفلسطينيون في رفح وعملية السيطرة الهوجاء على معبر رفح (الصلة الوحيدة بين غزة والعالم الخارجي) واقتحام الحدود الفاصلة بين مصر وغزة وقتل شرطيين مصريين خلال ذلك، ومن ثم احتلال مكاتب الحكومة والبلديات بالقوة وغيرها الكثير الكثير من الأحداث العنيفة وتبادل اطلاق النار بين العصابات المختلفة. من يفعل ذلك هو مجموعات مسلحة واغلبيتها، اذا لم نقل جميعها، اعضاء في وحدات ترتبط بأجهزة الأمن الفلسطينية في السابق أو في الحاضر. الأمر المشترك لها جميعا هو ارتباطها بحركة فتح.

في الشارع الفلسطيني يدركون أن ذلك ليس صدفة. تصاعد موجة اعمال العربدة التي تدل على وجود فلتان أمني ليس مسألة عابرة، وليس صدفة أن أفراد فتح الذين يقفون وراءها. التفسير الشعبي للظاهرة يفيد بأن هذه حالة فوضى مبرمجة ومنظمة وتهدف الى إثارة الفوضى التي تؤدي الى الغاء الانتخابات البرلمانية المفترضة بعد اسبوعين. المتحدثون الفلسطينيون الذين يطالبون الآن صراحة أو تلميحا، بالغاء الانتخابات (هم يحذرون من قول كلمة الغاء وانما يستخدمون كلمة تأجيل) ـ هم جميعا من حركة فتح. وبما أن الجميع يعرفون أن حركة فتح تمر في أزمة خطيرة وأن حماس قد تعزز قوتها في الانتخابات ـ يصبح من المنطقي أن يبحث أتباع فتح عن ذرائع لالغاء الانتخابات. الفوضى في المناطق هي ذريعة جيدة لذلك. حتى الآونة الأخيرة كانت لدى قادة فتح ذريعة لالغاء الانتخابات: معارضة حكومة اسرائيل على اجراء الانتخابات في شرقي القدس بسبب مشاركة حماس. المشكلة هي أن موقف الولايات المتحدة واوروبا يقضي بالسماح باجراء الانتخابات في شرقي القدس، ولذلك ليس واضحا اذا كانت هذه الذريعة ستصمد أم لا. الأمر الأكثر ضمانة هو الغاء الانتخابات بسبب الفوضى.

عناصر تابعة لشهداء كتائب الاقصى يحملون صورة ضخمة لاريييل شارون لاحراقها خلال استعراض في غزة

هل الفوضى في المناطق هي بالفعل حالة فوضى منظمة؟ الشارع من جهته يصدق ذلك، ولكن ذلك ليس برهانا على صحة الأمر. الأمر الواضح هو أن رئيس السلطة، محمود عباس، وأتباعه يعترفون بعدم قدرتهم على السيطرة على الشارع. كل حكم يبذل في العادة جهوده لإبراز قوته ويرفض الاعتراف بضعفه. هكذا تصرفت السلطة الفلسطينية خلال كل السنين. ياسر عرفات مثلا اعتاد اتهام اسرائيل أو أطراف اجنبية في اخفاقاته. الحكام لا يُحبون الاعتراف علنيا بأنهم ضعفاء، وها هو محمود عباس يصرح في نهاية الاسبوع الماضي: «السبب من وراء الفلتان الأمني هو ضعف الحكم». هو وأتباعه ألمحوا أكثر من مرة انه لن يكون مناص من تأجيل الانتخابات بسبب الضعف.

من يرفض الفوضى ومحاولات الغاء الانتخابات هي بطبيعة الحال حركة حماس التي تُعد العدة لاحراز النصر. قادة الحركة نظموا في يوم الجمعة الماضي تظاهرة مثيرة للانطباع في غزة، وشجبوا عمليات اختطاف الاجانب والفلتان الأمني بصورة شديدة.

هل ستُجرى الانتخابات في نهاية المطاف؟ هناك شك كبير في ذلك، والسبب هو أن كل العالم تقريبا لا يريد الانتخابات التي تنتصر فيها حركة حماس. اسرائيل لا تريد ذلك، ومصر والاردن، وكل العالم العربي تقريبا يخشون من تزايد قوة الحركة الاسلامية الراديكالية. الامريكيون والاوروبيون هم ايضا قد يُبدون تفهمهم اذا أعلن عباس أن الظروف غير ملائمة الآن لاجراء الانتخابات.

ما زالت أمام الفلسطينيين فرصة من الزمن في الوقت الحالي ـ ايام عيد الاضحى الاربعة الذي يبدأ غدا. محمود عباس طلب تقليل المظاهر الاحتفالية خلال العيد حتى لا يبدو وكأن الفلسطينيين مسرورون بوضع اريييل شارون. وفور العيد ستتجدد على ما يبدو الفوضى في المناطق، الأمر الذي سيؤدي بصورة شبه مؤكدة الى الغاء الانتخابات.

داني روبنشتاين
محلل خبير للشؤون الفلسطينية
(هآرتس) 2006/1/9

اولمرت لم يتوقع صعوده الى القيادة القومية في مثل هذه الظروف المأساوية

■ ايهود اولمرت لم يتوقع بالتأكيد أن يتم صعوده الى القيادة القومية في مثل هذه الظروف المأساوية عندما استُدعي في منتصف الليل لاستبدال رئيس الوزراء المريض. خلال السنوات الثلاث الأخيرة برز اولمرت، خصوصا كهامس في أذني اريييل شارون، وكمن شجعه على السير في خطوات تاريخية مثل اخلاء المستوطنين من قطاع غزة وتفكيك الليكود وتشكيل حزب كديما. اولمرت كان مُقتفي الأثر الذي أعد الرأي العام للانعطافة في مواقف رئيس الوزراء، إلا أن الكلمة الأخيرة بقيت دائما بيد شارون.

الآن، ولاول مرة في حياة اولمرت السياسية، تُلقى المسؤولية العليا على أكتافه. ليست لديه مئة يوم من التسامح، ومن المشكوك فيه حتى أن تكون لديه مئة ساعة كهذه. المهمات التي يقف أمامها معقدة: تعيين وزراء جدد، مواجهة الانتخابات على رأس «حزب نجوم» بلا هيكل عظمي وجهاز حزبي، وفوق كل ذلك ـ اقناع الجمهور الاسرائيلي بأنه خليفة جدير لشارون بعد فترة التعلم والتمرس التي قام بها وهو الى جانبه.

ولكن من قبل أن يمتثل اولمرت لحكم الناخبين يتوجب عليه أن يجتاز اختبارات غير بسيطة في ادارة الدولة وعلاقاتها مع الفلسطينيين والمستوطنين. على رأس قائمة المشكلات المُلحة تقف قضية اجراء انتخابات المجلس التشريعي الفلسطيني بعد اسبوعين، وأوامر الاخلاء التي أُصدرت للمستوطنين الذين سيطروا على سوق الجملة في الخليل. وبالطبع، ردود الأفعال على الاعمال الارهابية الفلسطينية والتصعيد المحتمل في الشمال. اولمرت سيُحسن صنعا اذا لم يقع في إغراء تأجيل القرارات لاعتبارات سياسية مريحة. الحكومة برئاسته ملزمة بإبداء الحزم في مواجهة مستوطني الخليل من اجل انهاء ظلم امتد لسنوات وكذلك للتلميح بأنه لا يطيق خروقات القانون التي تتم خلف الخط الاخضر. التسويف في تنفيذ الأوامر والذي سيبرر بالصدمة الوطنية الناجمة عن مرض شارون، لن يؤدي إلا الى إضعاف موقف الحكومة التي ستتشكل بعد الانتخابات ـ حيث ستوضع على المحك قضية تراجع اسرائيل خلف حدودها الجديدة، الأمر الذي سيستوجب اخلاء مستوطنات كثيرة في الضفة.

في نفس الدرجة تجدر اعادة النظر في معارضة اسرائيل لتصويت الفلسطينيين في شرقي القدس والتي عُللت برفض شرعية مشاركة حماس في الانتخابات. الادارة الامريكية المعنية باجراء الانتخابات في موعدها تضغط على اسرائيل لإزالة العقبات التي تمنح محمود عباس ذريعة للتأجيل. اولمرت سيتصرف بصورة صحيحة اذا وجد حلا سريعا للتصويت في القدس كما تم في الانتخابات السابقة 1996، 2005 وأن لا يخشى الانتقادات من اليمين.

عشية الانتخابات ليست توقيتا ملائما لاتخاذ قرارات استراتيجية. وخصوصا ليس إبان وجود حكومة انتقالية لم يُنتخب رئيسها في صناديق الاقتراع واغلبية حقائبها شاغرة. اولمرت الذي أظهر قدرته على اتخاذ القرارات في مناصبه السابقة ونجح في حشد اغلبية المسؤولين في كديما من خلفه بسرعة، سيُختبر من خلال معالجته للأزمات التكتيكية. الطريقة التي يتصرف بها، وخصوصا الحزم الذي سيبديه، ستكون حاسمة في بلورة مواقف الناخبين قبل الانتخابات. بامكان اولمرت أن يتعلم من سلفه أن الجمهور يحترم أكثر من أي شيء آخر القرار والفعل ويُثيب من يقف وراءهما من خلال ازدياد شعبيته ودعمه في صناديق الاقتراع.

أسرة التحرير
(هآرتس) 2006/1/8

تمكن من الصمود في جميع الاختبارات التي تعرض لها

رغم أن اولمرت ليس شخصية موازية لشارون إلا أنه يمتلك الخبرة والقدرة السياسية

■ دار الحديث بقلق هذا الاسبوع في كل الأطر والاجتماعات التي كانت تُعقد هذا الاسبوع حول صحة وحالة رئيس الوزراء، ولكن في جميع الاحوال، كان الحديث سرعان ما يتحول الى مستقبل الانتخابات البرلمانية، وذلك على أساس الاعتقاد بأن شارون لن يكون المرشح فيها، وفي مرحلة كهذه كان الحديث ينقطع بصورة عامة، لأن ناخبي ومؤيدي شارون لا يعرفون كيف سيتصرفون. أنا شخصيا تمكنت من استغلال مناسبتين اجتماعيتين كان بضع عشرات يتواجدون فيها للقيام بعملية استفتاء خاصة، فقد لاحقت عددا من مؤيدي حزب «كديما» الذين كانوا يتواجدون بكثرة ووجهت اليهم سؤالا واضحا حول ما اذا كانوا سيصوتون لصالح حزب «كديما» حتى لو كان ايهود اولمرت يتزعمه. ورد نحو الثلث منهم على السؤال بالايجاب، وهذا بلا شك يعتبر مقدمة ايجابية.

ايهود اولمرت ليس شارون، هو لديه مشاكل كشخصية جماهيرية وشعبية قليلة، ولو أراد التنافس في قائمة خاصة به، فمن الصعب عليه تحقيق انجازات مثيرة. ولكن اولمرت يمتلك جميع العناصر المطلوبة للنجاح والتي تُمكّنه بقوة أن يكون رئيسا للوزراء حتى بعد اجراء الانتخابات، ولا شيء يمنعه من ذلك إلا أخطاء من قبل سياسيين ثانويين أو مخبولين هي التي ستمنعه من النجاح، واولمرت ليس مخبولا ولا مبتدئا في السياسة، بل هو سياسي قديم وصاحب تجربة، ولا يوجد إلا شارون وبيريس ودافيد ليفي ربما، من السياسيين الذين مروا في جميع الدهاليز والازمات السياسية المكنة على مدار السنوات الـ 35 الأخيرة.

سيعمل ايهود اولمرت كرئيس للوزراء بالوكالة حتى موعد اجراء الانتخابات. وهذه الوظيفة ستحقق له راحة جماهيرية، يمكن أن تُقلل كثيرا من تخوفهم من اولمرت المرشح لرئاسة الحكومة في الانتخابات. الظروف المأساوية لشغل اولمرت هذه الوظيفة الآن سوف تجلب له مزيدا من التأييد. ففي نظر جزء من الشعب الاسرائيلي سيكون الوريث للزعيم المريض، والتصويت لصالحه سيشكل نوعا من استمرارية الولاء لتركة شارون.

المصطلح «كديما» ستكون له قيمة ايضا بعد شارون، بل ربما تُضاف اليه أهمية خاصة، فوسائل الاعلام تقف مساندة لايهود اولمرت كما سبق لها وتصرفت مع شارون، لذلك فهي تُسهل عليه الأمر. لقد نجح اولمرت حتى الآن في بلورة اتفاق من حوله داخل كديما، وعبارات التأييد التي حظي بها من قبل الاعضاء: مئير شطريت وتسيبي لفني وحاييم رامون وغيرهم كانت تقصد الى إضفاء الانطباع بأن كديما يشكل فريقا جديا وجيدا والذي سيساعدهم كما هو معروف، كذلك اولمرت يشعر بالسعادة لوجود منافسين سياسيين ضعفاء، حتى الآن. وبنيامين نتنياهو وعمير بيرتس يواجهان صعوبات كبيرة في الوصول الى المستويات التي حققها حزب كديما في استطلاعات الرأي التي جرت حتى الآن.

تاريخ ايهود اولمرت السياسي يفيدنا بأن هذا الشخص تمكن من الصمود في جميع الاختبارات التي تعرض لها ومن النوع الذي أُعد له. فهو كان دوما عضوا في القوى الجيدة، والتي حافظت له دوما على سيرته الصحيحة المتواصلة في الكنيست وغيرها، ورهانه على شارون قبل ثلاث سنوات جعله يصيب الهدف، فقد انتشله شارون من ترتيبه في القائمة، حيث كان في العشرة الرابعة في قائمة الليكود، وقام بتعيينه نائبا له. واولمرت صاحب تجارب في منافسات قوية، فقد سبق له عام 1993 أن نافس تيدي كوليك على رئاسة بلدية القدس، ونجح في ذلك.

صحيح، حسب تقديري، أن ايهود اولمرت لا يستطيع ان يفوز بعدد المقاعد التي كان من المتوقع لشارون ان يفوز بها، ولكنها ستكون كافية ليشكل بها الحكومة الجديدة، وكما يبدو في هذه اللحظة فانه بحاجة الى تمرينات خاصة حتى لا يضيع هذه المهمة.

شالوم يروشالمي
مراسل الصحيفة للشؤون الحزبية
(معاريف) 2006/1/9

المهم أن لا يسير خليفة شارون على نهجه أحادي الجانب الذي لا يضمن السلام ولا يُحسّن وضع اسرائيل الاستراتيجي

■ منذ أن أوضح للخليط السياسي المسمى «كديما» بأن اريييل شارون نفسه لن يتمكن من قيادتهم، قام هؤلاء بتبني مصطلح جذاب جديد اسمه «نهج شارون».

رحيل «شمس الشعوب» عن الساحة السياسية يُتيح لحزب «كديما» من قبل موعد الانتخابات أن يدحض الادعاء بأنه حزب شخص واحد. الانتظام السريع من خلف قيادة ايهود اولمرت يهدف الى البرهنة على أن هذا الحزب الوليد يملك قدرة أكثر من طول عمر القائد الأسطوري.

الانتقال من مكانة المسافر العابر الى مقعد السائق يلزم أتباع «كديما» بأكثر من مجرد الظهور بمظهر القيادة البديلة للقائد المريض. اولمرت، شمعون بيرس، تسيبي لفني وحاييم رامون لن يخرجوا سالمين من فقدان الخطة السياسية الموجودة في عقل شارون اذا لم يتبنوها ويُخمنوا تفاصيلها المفترضة. السياسيون الذين يتوقعون أن يعاملهم الجمهور كقادة له ملزمون بالتحلي برؤية انتقادية للسياسة التي يقترحونها عليه. أولا، يتوجب عليهم أن يسألوا انفسهم اذا كان شارون يترك اسرائيل في وضع استراتيجي أفضل من ذلك الذي كانت عليه عندما تسلم قيادتها قبل خمس سنوات. هم ملزمون بالرد على التساؤل اذا كان نهجه قد حسّن احتمالات وضع حد للصراع الدموي أم أنه قد أبعدها.

شارون يترك من خلفه فك الارتباط أحادي الجانب عن قطاع غزة والتوقع بالقيام بفك ارتباط أحادي الجانب في الضفة. حسب الاستطلاعات التي أُجريت بعد دخوله المستشفى يبدو أن هذه الصيغة تضمن لـ«كديما» احراز النصر بقيادة اولمرت وبيرس ولفني ايضا. ولكن من قبل أن يتبنوا هذه الخطة بمحاسنها ومساوئها يجدر بهم أن يتمعنوا بالاستطلاع السنوي الذي يجريه مركز ترومان في الجامعة العبرية ومركز الابحاث الفلسطينية برئاسة الدكتور خليل الشقاقي في رام الله. هم سيكتشفون هناك أمرا أو اثنين بصدد ثمن الانسحاب من دون اتفاق.

الاستطلاع الذي جرى في شهر كانون الاول يُظهر أن 82 في المئة من سكان المناطق يعتبرون اخلاء المستوطنات في غزة انتصارا للكفاح المسلح. و68 في المئة يعتقدون أن الانتفاضة قد ساعدتهم في تحقيق أهداف وطنية وسياسية لم يكن بامكانهم أن يحققوها من خلال المفاوضات. آثار هذه المعطيات يمكن أن نجدها في الانتصار الكبير لمرشحي حماس في الانتخابات البلدية التي جرت في المناطق في الشهر الماضي، وفرضية فاعلية العنف وصحته ستؤدي حسب المتوقع الى رفع أسهم مرشحي فصائل الرفض في الانتخابات التشريعية المزمعة.

خروج شارون من دائرة صناع القرار يجب أن يشكل فرصة لاعادة النظر في فرضية «اللا شريك». شارون حصل على هذه الفرضية كهدية من ايهود باراك وبيل كلينتون اللذين حوّلا ياسر عرفات الى كبش فداء لاخفاقاتهما في كامب ديفيد. باراك توجه لجني الأرباح لنفسه وكلينتون تجول في أرجاء العالم، أما عرفات فقد انضم الى أسلافه، ومن الذي تبقى؟ نظرية «اللا شريك». خلال السنوات الخمس الماضي احتلت الجهود العسكرية غير المسبوقة مكان النهج السياسي من اجل التوصل الى الهدوء في المناطق. ما لم ينجح في عمليات الاغتيال جربه شارون من خلال الاغلاقات، وما لم ينجح من خلال الاغلاقات تمت تجربته من خلال الجدران. وفي حالة فشل الجدران جاءنا الانسحاب أحادي الجانب. هناك طريقة واحدة فقط لم يتم سلوكها خلال تلك الفترة وهي العملية السياسية مع القيادة الفلسطينية الجديدة برئاسة محمود عباس (أبو مازن). كل الاستطلاعات التي تجري في المناطق تشير الى وجود شريك. رغم أن استطلاع ترومان ـ الشقاقي يُظهر انخفاضا في دعم الجمهور في الضفة وغزة وشرقي القدس لمشروع كلينتون الذي طُرح في أواخر عام 2000، إلا أن الثلثين يؤيدون اتفاقا دائما يضع نهاية للصراع و55 في المئة يؤيدون تسوية على أساس حدود حزيران وتبادل المناطق. 80 في المئة يؤيدون تمديد وقف اطلاق النار الذي سينتهي في هذه الايام. أما عند الاسرائيليين فقد قال 80 في المائة أنهم يؤيدون تسوية دائمة مع الفلسطينيين 76 في المئة قبل عام و66 في المئة قبل عامين. ومثلما حدث قبل عام يتبين أن 64 في المئة مستعدون لتبني مشروع كلينتون.

النهج أحادي الجانب الذي اتبعه شارون ليس دربا يوصل الى السلام مع الجيران. وهو حتى ليس صيغة وحيدة للانتصار داخل البيت.

عكيفا الدار
المراسل السياسي للصحيفة
(هآرتس) 2006/1/9

المستوطنون يتمنون شفاء شارون لكنهم لا يغفرون له ولا يمحون اخطاءه

اسرائيليون يستمعون للاخبار من مستشفى هداسا تتحدث عن حالة اريييل شارون الصحية

■ يجري في عروق الاعلام في هذه الايام ألم حقيقي، ولكن يجري نفاق كثير ايضا. أصبحوا فجأة يتذكرون عندنا المظلمة التي جرت على اريييل في حرب لبنان: فبيغن، لا شارون، هو الذي قرر احتلال بيروت، وقد جعله كبش فداء، وقد اخطأت لجنة كاهن واوقعت الظلم بشارون.

أين كانت هذه النفوس الطاهرة، ولماذا صمتت ثلاثا وعشرين سنة، سفكوا فيها دم شارون؟ من اين يحصلون على دواء يضاد الاشمئزاز لقراءة اقوال النفاق لاولئك الذين لقبوه «قاتلا» ولوحوا له بقتلى «حرب التضليل»؟.

كشف يهونتان جيفن عن سبب دخول عروس الاعلام اليساري ظلّة من جعلته طول السنين غولا مخيفة. انه يسأل «الان خاصة وقد قام فينا زعيم يوافق عمله اهواءنا، يكف شيء ما او احد ما هذا العمل؟»، اهواء من إن لم تكن اهواء من اخرج شارون من كيس سلامهم الهاذي أفعى الطرد والانسحاب الاحادي ـ بغير منطق وغاية ومن نتائج مدمرة اصبحت ترى في الواقع.

ان من يتصل حبهم لاريييل بشيء، فمن الطبيعي ان يتأثروا ايضا وبغير نقد بالحب الذي اصبح يغمره من الخارج. الصحيفة الاسبوعية «تايم»، التي جنت على شارون وقذفته في قضية صبرا وشاتيلا، تمتدحه الان على أنه أحد «الرجال الاقوياء» في هذه السنة. من المثير معرفة السبب. أربما بسبب ضعفه؟ أربما لانه على خلاف ما كان في لبنان، اصبح يطيع الامريكان الان؟ ولماذا لم يعد «شيطانا» في الصحف الخارجية، اذا لم يكن ذلك لانه استبدل خريطة الطريق بخريطة ارض اسرائيل؟ هكذا كشف رئيس حكومة الدانمارك ووزير خارجية بريطانيا عما يقلق قادة العالم: من الذي سيواصل الان في الضفة ما بدأه شارون في غزة.

تنبعث في المعسكر الذي ضربه شارون أخيرا أصوات متناقضة. فهنالك من يفرحون «لسقوط عدوهم»، وهو شيء مؤسف. تؤمل كثرتهم ابطال خطر الطرد والخراب المقلق فوق رؤوس زهاء 100 الف اليهودي في الضفة الغربية، لكنهم ايضا شركاء في الحزن لشخص اكبر من الحياة، لا يستطيع أي عمل متأخر ان يمحو اسهامه في اقامة اسرائيل.

اغتفر رئيس مجلس «يشع» بنتسي ليبرمان لشارون، الانفصال. «محوت كل ما كان. بقينا الناس الاعظم وفاء لشارون»، قال. هل تحدث باسم اللاجئين المطروحين في الخيم وفي الفنادق، والعائلات التي فصل بعضها عن بعض، والمعالجين في مشافي الامراض النفسية، والاولاد الذين اصبحوا مختلين عقليا، والمنتجين الذين اصبحوا حالات اجتماعية. وهل تحدث باسم الضحايا الذين قد يسقطون نتاج كميات السلاح والمواد المتفجرة الكبيرة الذي تتدفق الان من طريق محور صلاح الدين المخترق؟

يهونتان جيفن «يؤمل ان نعرف ان نذكره وكيف نخلد له السنتين الاخيرتين اللتين قلب جلده فيما». اما سائر سنيه فان جيفن لا يغفر له عنها. ليست الشماتة انسانية ولا يهودية، لكن «محو الماضي» ايضا كفعل ليبرمان ورفاقه ليس حقيقيا.

ما عادوا يستطيعون في الكنيس المحروق في نفيه ديكاليم، وفي الكنيس المدفون في شا ـ نور، اقامة الصلوات من اجل سلامة شارون. في مئات الكنس في وسط الضفة الغربية، وخطر مشابه يقوم فوقها، ينضمون الى تمنيات ليبرمان «أن يشفى شفاء تاما، ويحظى بحياة مديدة» ـ لكنهم لا يشاركونه الغفران والمحو.

اليكيم هعتسني
كاتب في الصحيفة
(يديعوت) 2006/1/9

التهديد الايراني ظهر في أواخر عهده

محبة الشعب الاسرائيلي لشارون عمياء ولا ترى أضراره الفادحة التي ألحقها بالدولة من استيطان وأصولية مهددة في لبنان والمناطق وكراهية بين الشعبين

■ مصطلح وليد: «تركة شارون». هذه التركة مثل سابقتها المسماة «تركة رابين» تترك انطباعا مغايرا تماما للشخص الحقيقي. لذلك قبل أن يتحول اريييل شارون الى «تركة شارون»، بطل السلام وفك الارتباط، بلحظة والذي كان سيجلب السلام لاسرائيل لو استمر في منصبه مدة أطول قليلا ـ يجدر بنا أن نرسم خطوط صورته الحقيقية من دون تزويق أو تنميق.

في عهد شارون ـ الزعيم الأكثر تأثيرا ربما منذ عهد دافيد بن غوريون ـ لحقت باسرائيل كمية لا بأس بها من المشاكل السياسية والأمنية التي تقف على أعتابها الآن. يجب القول باستقامة، والآن ايضا أن شارون الجديد الذي حظي بتقدير قسم كبير من الاسرائيليين واغلبية دول العالم، قد حاول في آخر ايامه اصلاح جزء من أخطائه التاريخية التي قاد الدولة اليها طول حياته. المشروع الاستيطاني وتعزيز قوة حماس وظهور حزب الله كطرف مُهدِّد وهام في لبنان ـ كل هذه الامور مدينة لسياسة شارون بدَين كبير.

التأثر المتأخر بشارون هو اذن تأثر من قائد فطن حاول في أواخر عهده الخلاص من اوضاع لم يكن القائد الحكيم ليدخل اليها بتاتا. هو جدير بالتقدير على اصلاحه المتأخر هذا للأخطاء وعن الاعتراف بمحدودية وقصور القوة والتحقق من بؤس المشروع الاستيطاني واجرامية الاحتلال، ولكن ليس من الممكن تجاهل إسهامه ونصيبه الحاسم في كل هذه الشرور.

وليس من الممكن الآن ايضا إظهار شارون ـ الذي كان مخلصا جدا لنظريته الأساسية القائلة بأن لا فرصة للسلام مع العرب ـ في صورة «بطل السلام» تماما مثلما يعتبر من الإفراط اعتبار اسحق رابين كذلك بعد مقتله.

شارون القديم هو الذي قاد الدولة الى أكثر حرب خاسرة وبائسة ولا معنى لها في حروب اسرائيل ـ حرب لبنان، كما أنه لم يوافق حتى على اتفاق السلام مع الاردن ـ الأكثر سهولة في اتفاقات السلام من زاوية اسرائيل، وامتنع عن التصويت معه.

شارون الجديد تجاهل الفلسطينيين بصورة فظة وتصرف من دون أي اعتبار لوجودهم واحتياجاتهم وتطلعاتهم في الخطوات الحاسمة مثل فك الارتباط والجدار الفاصل. هو لم يحاول التوصل الى السلام معهم لانه لم يُصدق للحظة امكانية وجوده.

تركة شارون ستذكرنا بالأساس بفك الارتباط وليس بعملية «السور الواقي» ولا قبعة أو غيرها من العمليات العنيفة والتي لم يكن لها داع ـ تماما كما تُذكرَ تركة رابين باوسلو بصورة أساسية. ربما كانت هذه العبرة التي يجب أن يتعلمها قادتنا المستقبليون: الطريق نحو المجد يمر عبر اتفاقات السلام وليس عبر ساحات القتال المعتبرة.

ولكن، حتى من يعتقدون أن شارون خطط لاخلاء المزيد من المستوطنات، لا يستطيعون تجاهل حقيقة أن المسألة تتعلق بإزالة قسط قليل من الثمار الفاسدة التي ولدتها سياسته. المؤرخ سيذكر لشارون كل خرائطه البلهاء و«الكتل الاستيطانية» والبؤر الاستيطانية «غير القانونية» و«القانونية» التي كان مسؤولا عن اقامتها أكثر من أي اسرائيلي آخر، وهدفت كلها الى احباط كل امكانية للتسوية العادلة مع الفلسطينيين.

ولكن، حتى اذا حاول شارون في قضية الاستيطان اصلاح الأضرار التي تسبب بها ـ فهو لم يفعل ذلك في المجالات الاخرى. أعداء اسرائيل الأكثر شدة وضراوة اليوم، حماس وحزب الله، وصلا الى مواقع القوة بفضل شارون بدرجة كبيرة. في تلك الحرب الملعونة المسماة حرب لبنان التي ارتبطت باسمه، تسبب شارون بطرد الفلسطينيين من جنوب لبنان واستبدلهم بحزب الله.

نفس النتيجة حدثت بسببه ايضا، وبصورة مدهشة في السلطة الفلسطينية بعد سنوات طويلة، إذ فضل الاصوليين المتدينين على العلمانيين المعتدلين. شارون الجديد المحبوب، مسؤول عن تحطيم السلطة كطرف مركزي في المناطق المحتلة واستبدالها ـ سواء بحركة حماس التي تهدد الآن بالسيطرة على الحكم أو بالفوضى التي تهدد بنسف كل شيء.

خلال كل سنواته كرئيس للوزراء، أحجم شارون عن منح أي دعم لقادة السلطة الفلسطينية حتى يتمكنوا من توطيد حكمهم في ظل الاحتلال الاسرائيلي. وحتى بعد موت ياسر عرفات لم يسمح لخليفته المعتدل بأن يُبرز أي انجاز هام أمام شعبه: لا اطلاق سراح السجناء ولا التسهيل الملموس في حرية الحركة ولا الاكتراث بالفلسطينيين عند تحديد مسار الحدار ولا حتى البدء في المفاوضات.

وبدلا من ذلك، فعلت اسرائيل شارون كل ما في وسعها لتخريب السلطة الفلسطينية وإهانتها أمام شعبها. المساعي العسكرية العنيفة التي وصلت الى ذروتها في عملية «السور الواقي» حطمت كل اجهزة السلطة: مراكز الشرطة التي تهدف الى إرساء الحكم ومكافحة الارهاب تعرضت للقصف بلا رحمة، وكل اجهزة السلطة ومكاتبها دُمرت واحدة تلو الاخرى. حركة حماس استطاعت في ظل الفراغ السياسي والاجتماعي الناشىء أن تزدهر فقط.

إبان الفصل الأخير من حياة شارون السياسية انبلج علينا التهديد الايراني الذي يعتبر، ربما، الأكثر خطورة. كم هي هزلية حقيقة أن هذا التهديد تحديدا والذي يؤكد عدم أهمية المساحة في الحفاظ على أمن الدولة، قد ظهر في أواخر عهد الشخص الذي اعتقد طول حياته أن الارض هي أهم شيء في الوجود.

قبل دخول شارون الى الذاكرة الوطنية بلحظة يجر أن نذكر أننا نودع في أحسن الاحوال مقاتلا شجاعا وسياسيا فطنا ـ ليس ذكيا ـ كانت له أضرار كثيرة، وهو الآن ينزل عن المسرح بينما يُغدق الشعب عليه محبته العمياء.

جدعون ليفي
مراسل مختص في حقوق الانسان
(هآرتس) 2006/1/9